اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ،
مرافق المسافر وترجمانه

نشرها المنوري اسحق ارملة السرياني

توطئة

سبقنا منذ ربع قرن فنشرنا على صفحات «المشرق» الاغرّ (١١ [١٩٠٨] : ٥٦٣) ترجمة السيد اثناسيوس سفر العطّار ، مطران ماردين ، وأشرنا هناك (ص ٥٦٩) الى كتابه هذا الذي ضمّنه اخبار رحلة السيد فرنسيس پيكيت الى بلاد ارمينية وفارس . وقلنا ان نسخة تلك الرحلة مصونة في المكتبة الواتكانية برومية تحت الرقم ٢٣٢ . ثم جاء الاب الفاضل القس بطرس سارة ، الراهب اللبناني ، فنشر على صفحات هذه المجلة عينها ، عام ١٩٢٥ ، ترجمة هذا الخبر القدّيس والقنصل والسفير الفرنسي المجيد ، وأشار الى صلات الاب سفر السرياني به ومرافقته اياه في رحلته من ديار بكر الى ارمينية وفارس .

مرّت الايام تلو الايام حتى قيّض الله تعالى لنا ان نزور عاصمة الكثلكة ، عام ١٩٣٠ ، ونحظى في دار كتبها الواتيكانية العامرة بهذا المخطوط الفريد النفيس . فنسخناه بالحرف نروم نشره . وهو مخطوط صغير الحجم يقع في ٢٠٨ صفحات طوله ١٢ س في عرض ١٠ س . كتبه مؤلفه القس سفر بالعربية بحروف كرشونيّة جميلة على ورق صقيل متين ، مكسوّة دفتاه بجلد ابيض ، واورد فيه بعبارة سهلة أخبار رحلة السيد پيكيت من ديار بكر الى همذان من السنة

١٦٨١ الى السنة ١٦٨٤ ؛ معرباً عن مزايا ذلك الحبر الجليل ، ومشيراً الى اخلاصه وتفانيه في خدمته مدّة ثلاث سنوات واربعة اشهر اذ كان وكيله وترجمانه الامين في العربية والتركية والفارسية والارمنية .

وُلد السيد فرنسيس پيكيت في ليون في ١٢ نيسان ١٦٢٦ . ونُصب قنصلاً في حلب (١٦٥٢-١٦٦٢) خلفاً للمسيو انج يونين . ومن جملة مآثره في تلك الحاضرة انه صرف المساعي المشكورة في ترقية السيد اندراوس اخيجان الى الرتبة الاسقفية عام ١٦٥٦ ، بوضع يد السيد يوحنا الصفراوي ، بطريرك السريان الموارنة الانطاكي . واستحصل صكّ الموافقة على سيامته من اغناطيوس شمعون بطريرك السريان المنفصلين . وسعى كذلك في ترقيته الى الكرسي الانطاكي عام ١٦٦٢ ، وساعده في محنه وشدائده الكثيرة . وقد ورد في اخبار الكنيسة السريانية ان السيد اندراوس اجاب الى طلب صديقه القنصل الورع فرقاه الى رتبة مطران حلب المرتل في كنيسة حلب في ١٠ كانون الاول ١٦٦٠ ، حسب الطقس السرياني .

وفي السنة ١٦٦٢ ، غادر السيد پيكيت مدينة حلب الى رومية وحظي بالمثول لدى الحبر الاعظم البابا اسكندر السابع (١٦٥٥-١٦٦٧) واطلعه على تفاصيل احوال الملل الشرقية عامة . ثم انطلق الى ليون وطنه ، وحلّ في دار غودفروا والده . وما عتم ان نزعت نفسه كشقيقيه الى الزهد في الدنيا . ونصبه البابا اقليمس العاشر (١٦٧٠-١٦٧٦) نائباً رسولياً عاماً على بلاد ما بين النهرين طبقاً لبراءة مؤرّخة في ١٥ كانون الثاني ١٦٧٥ وفي ١٦ ايلول ١٦٧٧ ارتقى السيد پيكيت الى الكرامة الاسقفية بوضع يد نيافة الكردينال غريمالدي . واوفد اليه الحبر الروماني مار اينوشنسيوس الحادي عشر (١٦٧٦-١٦٨٩) براءة رسولية عام ١٦٧٨ يسميه بها زائراً رسولياً لقبرس ، وحلب ، وطرابلس ، ولبنان ، وابرشية نخجفان بارمينية .

أبحر السيد پيكيت في ١١ ايلول ١٦٧٩ من فرنسة الى مالطة ووصل الى الاسكندرونة في ٦ تشرين الثاني . ثم عرّج على انطاكية ، وشخص الى حلب مركز قنصليته سابقاً . وفي ٢٨ آب ١٦٨٠ حضر في كنيسة السريان رسمياً

الاحتفال بتقليد الدرع المقدّس للسيد اغناطيوس بطرس شاهبادين ، بطريرك السريان الانطاكي (١٦٧٨–١٧٠٢) ، وألقى اثناء الاحتفال خطبة عربية في الثناء على فضائل ذلك الحبر الانطاكي النبيل الذي توفاه الله تعالى برائحة القداسة ، منفيًا في قلعة آطنه .

ظلّ السيد پيكيت نحو سنتين في حلب ينتظر بذاهب الصبر وصول جواز السفر من قسطنطينية العاصمة . وكان نصارى ارمينية وبلاد فارس من ارمن وسريان وناطرة يكاتبونه اذ ذاك ويستعجلونه على الذهاب اليهم . فكتب الى لويس الرابع عشر ، ملك فرنسة (١٦٤٣–١٧١٥) ملتمساً ، ان يسميه سفيرًا خارق العادة لدى شاه العجم . فاستحسن الملك اقتراحه وكتب في ذلك الى سفيره في قسطنطينية ، والى شاه العجم نفسه . وما كادت تصل الكتب الى السيد پيكيت ، السفير الجديد ، حتى غادر الشهباء في اواسط نيسان ١٦٨١ وشخص الى ديار بكر فبلغها في ١٠ ايار . وهناك قرّ رأيه على اتخاذ القس سفر العطار الماردييني السرياني ترجمانًا له . فاغتنم القس سفر تلك الفرصة ليكتب اخبار معلّمه مياومةً . ولما اعتزم على الاقامة في رومية انصرف الى جمعها في هذا المخطوط الفريد الذي نتحف به القراء ، تاركين النصّ على حالته مشيرين الى صفحاته تباعاً بين معقفين ، مثبتين في الهامش نتفاً من الفوائد التاريخية والجغرافية ، مع شرح الالفاظ الغريبة .

وقبل اثبات نصّ هذه الرحلة نرى ان ننبّه القراء الى ما كان يعترض المسافر في الامس من الموانع والصعوبات ، وما كان ينفقه من المبالغ الوافرة ، ويقضيه من الايام الطويلة توصلًا الى غايته . فقد لبث المونسنيور پيكيت الجليل مدة سنتين في حلب ينتظر ورود اوراق جواز السفر من الاستانة . ولولا توسط السفارة الفرنسية في ذلك لاقتضى لمنال الجواز مدة اطول ومبالغ اوفر . ثم استدرك ما قد يطرأ عليه في طريقه الشاقة الطويلة من النوائل والاخطار والطوارق ، فأعدّ ما يلزمه من المحافظين والجنود ليقوه شرّ الاكراد وقطاع الطريق في بلاد استفحل فيها الاستبداد ، وتفاقم السلب والنهب والقتل . وهيّأ من المؤونة والامتعة ما يكفيه ويكفي اصحابه ، ويقيهم لوافح الحرّ

ونوافح البرد وهبوط الامطار والثلوج ، وهبوب الرياح والعواصف . واذدخر من الادوية والعلاجات ما يدفع عنه وعنهم صنوف الامراض لداعي تقلّبات الجوّ واختلاف المناخ ، في رحلة استغرقت اربعين شهرًا ، وفي بلاد خلت من طرق العربات والسيارات والقطارات . وما عدا هذا كله فقد اضطرّ المونسنيور پيكيت ان يجامل المكارين ويجاريهم في مطامعهم ، ويُعدّ لهم ما يحتاجون اليه من الطعام ، وينفحهم بالهدايا والحلوان ، خيفةَ ان يطوّحوه في مفاوز لا زاد فيها ولا ماء ، او ينتقضوا عليه فيثبّطوه عن استئناف سفره ، او يفتكوا به . وكان ، اذا عزم على التنقّل من مرحلة الى أخرى ، نهض ليلًا وامتطى دابّته ساعات طويلة ، حتى اذا انتهى الى بلدةٍ او قريةٍ حطّ رحاله في خانٍ حقير فيها ، خالٍ من المعدات اللازمة ، او خلد الى مغارة ضئيلة ، او بات في صحراء قاحلة تحت خيمةٍ ينقلها معه ويجتمع فيها هو واصحابه ودوابه معًا .

واذا لاحظ القارئ حسب المونسنيور پيكيت ونسبه ، ومقامه الديني والمدني ، ومخافة بنيته ، ورفاهية معيشته في دار والده او في قصر قنصليته ، أدرك ما عاناه من التضحيات حبًّا للايمان الكاثوليكي المقدّس ، واستنتج ما كابده المرسلون في عصره من الضيم والتلف استجلابًا للخراف الضالة الى حظيرة السيد المسيح الواحدة ، وعرف كذلك ما تذرّع به الاحبار الرومانيون العظام من الذرائع الفعّالة لبلوغ غايتهم المقدّسة ، وما توسّل به ملوك فرنسة الفخام من الوسائل لنشر الايمان المقدّس في الاقطار السحيقة .

واليك ، بعد هذا التفصيل ، نصّ الرحلة بحرفها الواحد :

[١] اخبار سفر المونسنيور فرنسيسكوس بيكيت اسقف بابل[١] الذي رافقته انا الفقير اثناسيوس[٢] سفر اسقف ماردين لما كنتُ قسيساً . وكتبتُ بعض فضائله

١ً المونسنيور بيكيت في ديار بكر[٣]

لما كان بتاريخ سنة الف وستمائة واحدى وثمانين مسيحية في ١٠ ايار دخل المونسنيور بيكيت الى مدينة آمد[٤] من باب الروم راكباً فرساً في ثياب زي ثياب التجار . وانا كنتُ جالساً بجانب الباب . وكان أمامه شابّ ارمني فاخذه الى بيت البادرية الكبوجيين ونزل هناك . حينئذٍ جاء اليه مار[٥] يوسف بطرك الكلدانيين وزاره . وبعده رحتُ انا اليه وزرته وبستُ [٢] يده . فاوّل ما دخلتُ اليه عرفني ولم يكن نظرني . لكنه لما كان في حلب كنتُ قد ارسلتُ له مكتوباً مع اخي اشتكي من الهراطقة الذين كانوا يضادّوني . وهو ارسل لي جواب المكتوب ليسلّيني ويعزّيني بالصبر .

ولما دخل الى آمد اخذوا أحماله وانزلوها في الكمرك كالعادة . ثم راح البادري يوسف الكبوجي عند الكمركجي وأدّى له قدر عشرين قرشاً هدية من عند المونسنيور . اما الكمركجي فلم يفتح احماله بل أرسلها له مع خروف هدية . وثاني يوم أخذ[٦] له البادري بيتاً قريباً من بيته وانتقل اليه . ثم رحتُ

---

١) وقّع المونسنيور بيكيت امضاءه في وصيّته الاخيرة هكذا : « فرنسوا بيكيت اسقف بابل ونائب رسولي على العجم » . وكان مطراناً على سيزاروپوليس بقدونية . ثم سُمّي زائراً رسولياً لبابل وفارس ومطراناً على خسروپوليس اعني مدينة كسرى وهي اصفهان عاصمة الفرس .

٢) كان اسمه حين مرافقته السيد بيكيت في رحلته : « الفس سفر » . ولكنه لما يتّض الترجمة في رومية كان قد رُقّي الى الدرجة الاسقفية على ماردين باسم اثناسيوس سفر .

٣) هذه العناوين المتسلسلة من وضعنا

٤) ديار بكر

٥) هو يوسف الاول بطريرك الكلدان (١٦٨١-١٧٠٧) اطلب ترجمته في المشرق (٩ [١٩٢١] : ١٢٤-١٢٨)

٦) استأجر

اليه [٣] وقلت له ايش تأمرني حتى اخدمك ؟ قال تفتّش لي عن واحد يصير لي ترجاناً . فلقينا شاباً ارمنياً يُسمّى جبرائيل تلميذ وانيس مرتبيد[١] الارمني القاثوليقي . لان هذا الشاب كان في رومية وتعلّم الايطالياني فصار له ترجاناً

ويوم الاحد راح المونسنيور وقدّس في كنيسة (البطريرك) مار[٢] يوسف التي تسمى مار فشيون . و كان مار يوسف قد عزم[٣] مطران الارمن ومطران الروم مع اكابر الارمن والسريان والروم والكلدانيين . فامتلأت الكنيسة والحوش من الناس . فقدّس المونسنيور قدّاساً كبيراً وكان هناك ثمانية بادريّة كبوجين [٤] وسكولند[٤] ويسوعيين فرتلوا . وبعد خلوص القداس تقدّس[٥] بعض اناس من يد المونسنيور . ثم جلس المونسنيور على كرسي والتاج على رأسه . وجاء الرجال والنساء وتباركوا منه . فكان ناس منهم يبوسون يده . وناس ركبته وناس رجله . واكثرهم كانوا هراطقة . ولما انتهوا ادخلنا المونسنيور الى قلّاية مار يوسف[٦] مع المطارين والقسوس واكابر الطوائف . وكان مار يوسف قد عمل ضيافة عظيمة وأطعم كل الناس الذين دخلوا اليه . وانا كنتُ واقفاً على رجلي اترجم بينهم . لان المونسنيور كان يتكلم معي باللسان العربي الكتابي وكنتُ انا اشرحه بالتركي لان ارمن ديار بكر لا يفهمون [٥] العربي .

ثم وضعوا مائدة في الوسط حيث كان المونسنيور والمطارين والاعيان . وجعلوا مائدة اخرى في بيت آخر للكهنة والشمامسة وباقي الدولتلية[٧] . وانا جلستُ في هذه المائدة . لان مار يوسف كان جعلني وكيلاً للمائدة الثانية . ثم جعلنا مائدة ثالثة لباقي الناس في مكان آخر . فبعدما اكلتُ مع الجماعة في مائدتي بعث صاحبي[٨] المونسنيور حتى اترجم . لان الجماعة كانوا يريدون ان يسمعوا الفاظه . ولما حضرتُ امرني بالجلوس فجلست قريباً منه وبدأ يلقّش[٩]

---

١) المرتيد او الورتيد وظيفة كنسية تقابل وظيفة الخورفسقوس عند السريان .

٢) مار هذه لفظة سريانية يُراد به السيد ويُنعت به الاساقفة والبطاركة ٣) دعا

٤) سكولند يُطلق هذا اللفظ على التلامذة الذين يدرسون العلوم الكهنوتية ويقال لهم في السريانية بصحة هذا : الدارسون

٥) تناول القربان ٦) البطريرك ٧) الاغنياء

٨) استدعاني ٩) يتكلّم

مع الجماعة مقدار ساعة بعد الغدا . ثم قاموا جميعهم [٦] وباسوا يده وراحوا.

وبعد ذلك قام المونسنيور واراد ان يروح فرافقته انا وقشيان . وبينما كنّا راجعين الى البيت عبرنا على بيت واحد ارمني يسمى هزرشا دولتلي[1] وكان قد مات في تلك الايام . فلقينا اخاه الاسقف واقفاً في الباب يستنى[2] المونسنيور فتعلّق به وألزمه بالدخول . فلما دخلنا لقينا النسوان والبنات كلهن لابسات ثياباً سودا. وهنّ حزانى . فجا. الجميع وارتموا على اقدام المونسنيور وتباركوا منه وبدأوا يبكون . فعزّاهم وسلّى خاطرهم بكلامه الطيّب . وجابوا[3] [٧] ووضعوا امامنا مائدة من جميع الحلويات والسكر والعرق والنبيذ والماء.ورد والبخور مثل عادة البلاد . فامتنع المونسنيور من المائدة . ثم توسلوا اليه باكين ان يبارك على مائدتهم وبيتهم فباركهم جميعاً.وبقينا هناك مقدار نصف ساعة. وامّا الاسقف المذكور فكان قاتوليقيًا . فلما قمنا حتى نروح جاء جميعهم وجثوا امام المونسنيور وتباركوا منه ومن ثيابه كعادة البلاد . وايضاً الاسقف باس يده . ثم وصلنا المونسنيور الى بيته ورجعنا عند مار يوسف.

ولما كان يوم [٨] الخميس الذي هو عيد الجسد قدّس مار يوسف قدّاساً كبيرًا وطقّس[4] الكنيسة كعادة [الكلدان] . ثم لبس القسوس والشمامسة مع مار يوسف. وداروا ونزلوا من المذبح في الجسد المكرّم.وداروا ثلاث دورات في الكنيسة مبتدئين من يمين المذبح مرتلين : « ܗܵܐ ܡܫܝܚܵܐ ܕܐܬܐ ܒܥܢܵܢܹܐ ܘܥܠ ܥܲܪܘܼܬܵܐ ܕܲܒܪ ܐܲܬܢܵܐ ܘܥܲܡ ܟܠ ܚܝܠ ܫܡܝܵܐ ܘܐܪܥܵܐ ܡܫܲܒܚ ܠܹܗ »[5] . وهذا العيد ما هو عند السريان ولا عند الكلدانيين . لكن مار يوسف عمله[6] .اما المونسنيور فكان جالساً على كرسي في باب المذبح والتاج على رأسه . فكرز[7] مار يوسف كرزة[8] باللسان التركي [٩] ووصف فيها المونسنيور وفضائله . ولهذا كرز بالتركي لكي يفهم الارمن والطوائف الحاضرون كلامه . وبعد خلوص القدّاس جاء الناس وتباركوا من

---

١) غني ٢) ينتظر ٣) احضروا ٤) بارك

٥) هي ترنيمة سريانية من نظم مار افرام،ملفان الكنيسة الكاثوليكية،ينشدها السريان والكلدان اثناء الذبيحة الالهية. ٦) وضعه ٧) خطّب

٨) الكرزة سريانية ܟܪܘܙܬܐ يُراد بها الوعظ والارشاد والتبشير.

المونسنيور ورجعوا . ونحن دخلنا الى قلاية مار يوسف وتغدّينا هناك . ثم اخذنا المونسنيور ووصلناه الى بيته . ولما كان نهار عيد الفنطقوسطي[1] حضر المونسنيور ايضاً الى كنيسة مار يوسف وقدّس مار يوسف ايضاً وبعد القدّاس دخلنا اليه وتغدّينا عنده .

وفي الاحد التابع عزم الارمن المونسنيور ومار يوسف الى كنيستهم الصغيرة التي تُسمّى سوردب كراكوس [١٠] اعني مار عبد الاحد . وعندما قربنا من الكنيسة رأينا القسوس والشمامسة لابسين طقوسهم[2] وقد خرجوا خارج الحوش بالرياح العظيم حاملين صناجق الصليب المكرّم والاناجيل والمباخر والنواقيس والصنوج تدقّ وهم يرتلون باطيب النغمات . وكان المسلمون يتفرّجون من الاسطحة ولم يتكلّموا ابدًا مع انهم اشقياء اشرار اشرّ من اسلام غير بلاد . فلما دخلنا الى الكنيسة نظرناها ملآنة من الناس . ثم وضعوا كرسيًا للمونسنيور عن يمين المذبح وألبسوه بدلة [١١] جميلة وتاجاً . ثم كرز مطران الارمن ووصف في كرزه المونسنيور وصفاً عظيماً . وهذا العجب ان المطران كان رجلًا هرطوقيًا كبيرًا وعمل طاعة زائدة للمونسنيور وكل فيه قول الكتاب : « ان الله يمقت المنافقين غصباً » . ثم من بعد خلوص القدّاس جاء الكبار والصغار وتباركوا من المونسنيور وهو جالس على كرسي بتاجه .

ثم خرجنا من الكنيسة حتى نعدّي[3] الى مكان الضيافة . فما امكننا العبور من كثرة الناس . لان الكنيسة والاحواش كانت ملآنة . وانا كنتُ حاملًا جوخة[4] المونسنيور على كتفي وكانت من السنور[5] . وكان قنيسان آخران حاملين اذيال بدلته [١٢] . وباقي قسوس الارمن والكلدانيين كانوا محتاطين حوله ليحموه من الناس . ومع هذا جميعه لم نقدر نحميه من الناس الذين كانوا يجبرون يتباركون منه وكانوا يزحمونه . وكنتُ اخاف عليه لضعف قوّته . ثم اني زعقتُ على الناس باللسان التركي وقلت . « لاجل محبة الله ساعدونا حتى

---

١) الخمسة ٢) حللهم الكهنوتية ٣) نذهب ٤) جبّة

٥) السنور حيوان برّي يشبه ابن عرس واكبر منه . لونه احمر مائل الى السواد يُتّخذ من جلده فراء ثمينة .

يخلص المونسنيور لانه ضعيف القوّة . عند ذلك جاء اناس اقوياء وهجّجوا[1] الناس عنا . ثم دخلنا الى بيت المطران ودخل المونسنيور الى مكان منفرد وبدّل ثيابه من العرق . لاننا دائماً كنا نأخذ ثيابه معنا حتى يبدّل . ثم جلس المونسنيور ومدّوا [١٣] امامه مائدة شريفة . وكان هناك اكابر الارمن وباقي الطوائف . فتغدّينا وبقوا يتكلّمون معه مقدار ساعة وانا كنتُ اترجم بينهم بالتركي . وبعد ذلك قمنا رحنا ورافقنا بعض قسوس ارمن الى بيت المونسنيور . ثم تركناه ورجعنا كل واحد الى بيته .

ولمّا كان الاحد الآخر عزم الارمن المونسنيور ايضاً الى كنيستهم الكبيرة التي تسمّى خضر الياس . ولمّا وصلنا الى باب الحوش خرجوا امامنا بالرّياح المذكور اعلاه وادخلوه الى الكنيسة ولبسوه بدلة ووضعوا التاج على رأسه [١٤] واجلسوه على كرسي عن يمين المذبح مكان مطرانهم . ثم كرز مطرانهم ووصف المونسنيور . وبعد خلوص القداس جاء الكبار والصغار وتباركوا منه . ومن هناك اخذونا الى بيت المطران داخل حوش الكنيسة . لان المطران له مسكن في كل كنيسة . وبالجهد العظيم قدرنا نتخلّص من الناس . ودخل المونسنيور وبدّل ثيابه وتغدّينا هناك . وعزمه كثيرون حتى يروح الى بيوتهم ويباركهم . ولكن لم يمكنه ان يروح عند احد . لانه لو راح عند واحد كان يطلبه الكل حتى يروح اليهم . وكان يتعوّق في [١٥] آمد .

ونحن كنّا نخاف عليه من ظلم المسلمين وحسد الهراطنة وعرانيتهم[2] ولكن عناية الله اعمت عنه ابصارهم بعد ما صار له هلقدر[3] عزّ ووقار الذي ما صار ابداً لاحد غيره . وكان الناس يجون[4] اليه الى البيت ليزوروه ويتباركوا منه . وكان بعضهم يهدون اليه بعض المأكول والمشروب . ولم يكن يقبل ان يأخذ من احد شيئاً . لكن البعض كانوا يتوسّلون اليه كثيراً فكان يقبل ذلك ويعوّض لحاملها ضعفين عمّا جاء به .

وذات يوم انا الحقير اردت ان اهدي اليه جرّة نبيذ [١٦] مليح ممّا كان

---

١) كشفوا ٢) جاسوسيّتهم ٣) كل هذا ٤) يجيئون

يعجبه وصينيّة بقلاوى التي يصلونها من السكر والعجين واللوز والسمن وغير اشياء. ثم اني حملتُ النبيذ خادماً كان عندي وفتّشت عن آخر فوجدتُ واحداً نصرانياً فقيراً فاعطيته حقّه وحملته الصينيّة. فلمّا وديا[1] له ذلك اعطى كل واحدٍ نصف قرش. فرجع النصراني فرحان وهو يشكر فضل المونسنيور ويدعو لي. فقلتُ له مالك؟ قال ان اخي كان منذ يومين محبوساً لاجل الخراج لاجل نصف قرش. وكنت افتّش حتى اتدبّر له نصف قرش وافكه من الحبس [١٧]. والآن اعطاني هذا الرجل المبارك نصف قرش. حينئذٍ راح فكه.

٢ً اخبار الى سفر ترجماناً للمونسنيور يكبت

اما جبرائيل ترجمان المونسنيور فمرض ومات وخسر المونسنيور دراهم على دفنته وأعطى القسوس وبقي بغير ترجمان. فصاح[2] مار يوسف والبسادري يوسف وقال لهما ليفتّشا له عن ترجمان. فقالا له اننا نتكلم مع القسيس سفر المارديني. فقال لهما لعله لا يقبل. فقالا نحن نكلمه. ثم استدعياني وتكلما معي في بيت مار يوسف وقالا انك تعلم ان المونسنيور ما له ترجمان وانت الآن بطركك معزول[3] وما تقدر تروح الى [١٨] ماردين لخوفك من الهراطقة. فيلزم ان تروح مع المونسنيور وتوصله الى بلاد نقشوان[4] لان هناك قاتوليقيين من الارمن لا يعرفون اللسان. وعندما ينصب بطركك ترجع الى ماردين. فقلت لهما السمع والطاعة. وثاني يوم اخذاني عند المونسنيور فبستُ يده وباركني وقالا له ان القسيس يجيء معك. فقال لي هل تجيء؟ قلت نعم انا عبدك وفي خدمتك. فاحتضنني وقال لي رُح اقشع شغلك لاننا بعد كم يوم نطلع. فقلت له ما لي شغل سوى اني آخذ لي فرساً. قال ما تحتاز الى فرس لاني أستكري دوابّ للتحميل [١٩] والركوب. ثم اعطاني كم قرش خرجية لاشتري عازتي.

وكان المونسنيور قد استكرى من واحد مكاريّ ارمني حتى يودّيه الى

---

١) أخذا ٢) استدعى ٣) يشير الى السيد اغناطيوس بطرس شاهبادين البطريرك الانطاكي (١٦٧٨–١٧٠٢) المنبوط الذي ظهر عليه البطريرك عبد المسيح واستولى على كنيسة حلب عام ١٦٨١ ٤) نخجوان

تبريز على درب بدليس وفصل معه بثلاثمائة قرش مكفى مجفر[1] ودفع له من المبلغ المذكور ستين قرشاً . وبعد يومين جاء ناس وخوّفوا المونسنيور ان لا يروح على درب بدليس لان الكروان[2] ما هو كبير والدرب مخوف. فاستدعى اليه مطارين الارمن ومار يوسف واستشارهم . فقالوا له ما هو لازم ان تروح على درب بدليس بل سافر على درب ارز الروم (ارضروم) الى ايروان[3] . فقال كيف يصير [٢٠] هذا وقد اعطيت ستين قرشاً للمكاري . فقالوا نحن نصيح المكاري ونأخذ منه الدراهم . ثم صاحوا المكاري وتكلموا معه فانكر وقال اني قد خرجتُ[4] الدراهم واشتريتُ دواب . فقالوا اعطنا كفيلاً صادقاً بانك توصل هذا الرجل الى تبريز بغير ضرر ونحن نعطيك باقي الدراهم . ولما لم يقدر ان يوجد الكفيل اعطى اربعين قرشاً ولم يقدر يعطي العشرين قرشاً الباقية . فجاز عنه المونسنيور ثم امرني ان افتش عن قاطرجية[5] آخرين يأخذونا الى ايروان على درب ارز الروم. فرحتُ مع بعض ناس وفتشت عن [٢١] مكاريّة فوجدتُ رجلين نصرانيّين من ماردين وثلاثة مسلمين من بالو[6] واستكرينا منه خمس عشرة دابة لاجل التحميل والركوب وفصلنا معهم القنطار اعني مائة رطل حلبي بستة قروش ونصف الى ارز الروم . وعادةً المركوب هو نصف قنطار . ثم اعطاني المونسنيور دراهم معلومة حتى اروح اتسوّق خبزاً وشراباً وارزاً وسناً وكل ما نحتازه في الدرب . فرحتُ وتسوّقت بقساط[7] وحملين شراباً وباقي اشياء . وبعدما بقي المونسنيور سبعة وعشرين يوماً في آمد امرني ان اعطي الكروة لاصحاب البيت فاعطيتهم مثلما [٢٢] كنا فاصلناهم . وانعم عليهم ازيد . وانعم كذلك على الذين كانوا يخدمونه حتى على الذين جابوا له شربة ماء . فدعوا له كلهم بالسلامة .

اما البادري يوسف فراح عند الكمركجي وعند الصوباشي[8] وطلب منهما

---

١) خالص
٢) القافلة
٣) اريفان وهي عاصمة ارمينية الحالية
٤) صرفتُ
٥) مُكارين
٦) بالو: قرية من اعمال ديار بكر
٧) البقساط : خبز يابس كالكمك
٨) مأمور التفتيش

الدستور في ان تخرج احمال المونسنيور من باب البلد بغير تكليف وتفتيش . لان القانون يحكم بانه اذا خرجت احمال يفتشانها ويأخذان عن كل حمل ثلاثة قروش . ثم بعث الكمركجي والصوباشي اناساً الى الباب لكي يمنعوا البوابين من التفتيش .

٣ سفر المونسنيور يكيت من ديار بكر الى ارضروم

وكان خروجنا من آمد نهار الخميس ٧ حزيران بالحساب الشرقي [٢٣] في السنة المذكورة اعلاه (١٦٨١) . وجاء مطارين الارمن عند المونسنيور ليودّعوه وكان بينهم مطران قاتوليقي يسمى اوهان . فكتب مكاتيب الى ارز الروم لبعض اصحابه الارمن يوصيهم بالمونسنيور واعطاني المكاتيب . ثم خرجنا من باب آمد مع الاحمال وخرج معنا مار يوسف والمطران اوهان الارمني القاتوليقي وبعض المحبين ليودعوا المونسنيور . فسلّم المونسنيور على البوابين ببعض دراهم فشكروا فضله ودعوا له بالسلامة . اما الذين خرجوا معنا فانهم تودعوا ايضاً من المونسنيور وباسوا يده ورجعوا متأسفين على الفراق [٢٤] ومشينا مقدار ميلين عن آمد ونزلنا في برية وبتنا تلك الليلة هناك . وثاني يوم تلاقينا مع قفل ارز الروم . وكان برفقتنا ثلاثة بادرية كبوجيين وهم البادري يوسف والبادري لورنسيوس والبادري فرنسيس . وكان الكروان كله مسلمين واكثرهم لازيون من بلاد اللاز وهم يبغضون النصارى جدًّا . واما نحن فكان لنا خيمة كبيرة كنا ننصبها ونحتوي تحتها نحن واحمالنا . لانه في تلك البلاد مطر زائد وما فيه مكان يحتوي الانسان . واكثر درب ارز الروم جبال عالية عليها الثلج دائماً . وهي ملآنة من كل الزهور [٢٥] روائحها كروائح الفردوس .

وذات يوم حملنا من بكرة من ذيل الجبل والماء وصلنا الى راس الجبل دائماً صاعدين . وثاني يوم حملنا من راس الجبل والماء وصلنا الى ذيل الجبل دائماً نازلين . وكنتُ انا دائماً قريباً من المونسنيور . وكان يسألني بعض اسئلة فكنت اترجم بينه وبين الذين كانوا يقربون اليه من المسلمين في الكروان

حتى يتكلموا معه . وكانوا اذا سألوه عن شيء من امور الدين ام من احوال بلاده كانوا يكلمونه بالادب والحشمة مثلما [٢٦] يكلم العبد سيده لما كانوا يسمعونه من عذوبة كلامه . وكانوا يسمونه الحكيم الكبير ويسمون مسيو وينسا الحكيم الصغير . وقد صدقوا بقولهم لانه كان حكيماً روحانياً كبيراً.

وكان المونسنيور يجتمع مع البادرية ومسيو كازمو بطلب اعترافه تحت الخيمة ويصلّون بحسّ عالٍ . وكان المسلمون يجيئون الى قرب الخيمة ويسمعون. وما كانوا يتكلمون ابدًا ولا يتضحكون كعادتهم مع النصارى ولا يمنعونهم عن الصلاة جهرًا وعن ارتفاع الحس بل كانوا يتحيرون ويستهيبون لما كانوا ينظرون المونسنيور واقفاً في الصلاة [٢٧] بالحشمة واجتماع الحواسّ والمخافة مثل ملاك الله . وكانوا ينصرفون الى خيامهم بغير كلام ابدًا.

ولما كنا نتغدّى كنّا نُحضر الشراب ونشرب كعادتنا وهؤلاء ينظروننا ولا يتكلمون مع انهم يبغضون الشراب وشاربيه . وكانوا يتعجبون في شربنا لما كانوا ينظروننا نشرب كل واحد منّا قدحين او ثلاثة ممزوجة بالماء . وكانوا يقولون لي بما ان نصارى بلادنا ما يشربون مثلكم بل يشربون مثل الخنازير ويسكرون فلهذا نبغضهم. وكان بينهم واحد مريض فجاؤوا به الى الحكيم واعطاهم دواء بغير ثمن فبقوا يراعونا كثيرًا. والمكان الذي كنا نحط فيه كانوا يعطونا المحطّ الاحسن [٢٨]. وهكذا رافقونا بغير ضرر بل نالنا منهم اكرام.

ولما بقي بيننا وبين ارزالروم مسافة يوم واحد امرني المونسنيور ان اسبق الى البلد واعطي المكاتيب لاصحابها حتى يفتشوا لنا عن بيت نسكنه . فركبتُ ورحتُ الى ارز الروم ولاقيتُ في دربي الكمركجية راكبين قدام الكروان حتى يكتبوا الاحمال . وسألوني قائلين قد سمعنا بان مع الكروان رجلًا فرنجياً تاجرًا كبيرًا ومعه عدة احمال . فقلت لهم ان هذا الرجل الذي سمعتم عنه هو قسيس واحماله هي كتب وهو رائح الى بلاد نقشوان عند الفرنج الذين [٢٩] هناك . ومعه طبيب حاذق واحماله هي ادوية . فقالوا لي اننا ما نصدّق قولك لاننا سمعنا ان احماله جوخ وبضاعة افرنجية . فقلتُ لهم غدًا عندما تفتحون الاحمال في ارزالروم يظهر صدقي او كذبي . فمضيتُ

ودخلتُ الى ارزالروم ولم اكن قد دخلتها ابدًا . وسألتُ عن حارة النصارى فقالوا لي هذا خارج البلد الذي ترى كله خانات التجار وبيوت النصارى . فرحتُ الى احد الخانات ورأيتُ الخواجكية الارمن الذين جبتُ لهم مكاتيب: فالواحد اسمه بدروس وهو رجل قاتوليقي والآخر اسمه بشارة والآخر اسمه اللهوردي[1] وهو عند الكمركجي . فدفعت اليهم المكاتيب فاخذوا وقرأوها [٣٠] وجاؤوا معي واستكروا لي بيتاً فيه خمس حجر الشهر بقرشين . ثم نمت تلك الليلة في الخان . وثاني يوم ركبتُ من بكرة ورحتُ قبال المونسنيور فوجدتُ الكروان قد قارب البلد نحو ميل.

٤ وصول المونسنيور بيكيت الى ارضروم

ثم اخذت المونسنيور والجماعة والاحمال تتبعنا ودخلنا الى ارز الروم بعد سبعة عشر يوماً[2] ونزلنا في البيت . فجاء ناس الكمرك وختموا الاحمال. وثاني يوم جاؤا طلعوا عليها فما وجدوا فيها كما سمعوا . واما الخواجكية الارمن المذكورون اعلاه فجأوا عند المونسنيور وزاروه وتباركوا منه وفرحوا به وتكلموا معه ورجعوا . وثالث [٣١] يوم جاء الينا مطرانان ارمنيان الواحد يُسمّى عزريا مطران ارزالروم وهو قاتوليقي مخفي والآخر يُسمّى المطران ابرهيم مع بعض تجار ارمن . وجابوا معهم قسماً من الفواكه في صينيتين وشيئاً من النبيذ وتباركوا من المونسنيور وبقوا عندنا مقدار ساعة يلقشون . واحضرنا امامهم مائدة من الحاويات مع عرق فانشرح خاطرهم تمًا نظروه وسمعوه من المونسنيور. ثم رجعوا الى بيوتهم . وفي اليوم الرابع جاءنا من بيت الخواجا بدروس ثلاث صواني الواحدة بقلاوة والثانية لقم القاضي مصنوعة بسكر وعجين وسمن والثالثة [٣٢] خبز معجون بسمن على عادة البلاد . فامرني المونسنيور ان اعطي الذين جابوا الصواني لكل واحد نصف قرش.

وبعد ذلك جاءنا من عند الخواجا بشارة جرّة نبيذ الكرج . لانه في ارزالروم ما يوجد شراب لقلة العنب فيها ولسبب الخوف لئلا يشرب

---

١) عطاالله ٢) ٢٦ حزيران

الجنجكارية[1] ويسكروا ويعملوا ماريولية[2] . فلهذا السبب عملوا يسق[3] مجي الشراب الى ارزالروم . والنصارى هناك بالجهد العظيم كانوا يلاقون شراباً عاطلاً . ونحن كان معنا ظرف شراب من شراب آمد . ولما جاء الكمركجية وفتشوا احمالنا ووجدوا الشراب ما تكلموا لعلمهم ان الافرنج [٣٣] لا يقدرون يصبرون بدون شراب .

وكان في ارزالروم ارمن قاتوليقيون منهم كانوا قد سافروا الى بلاد الافرنج وصاروا جهراً قاتوليقيين ومنهم كانوا قاتوليقيين مستورين . ونحن كنا عملنا الحجرة الواحدة كنيسة لاجل القدّاس . وكان المونسنيور يقدّس كل يوم . فطلب هولاء القاتوليقيون ان يحضروا القدّاس ويتقرّبوا[4] فامرني المونسنيور ان اعرّفهم فعرّفتهم باللسان التركي وتقدّسوا[5] كلهم . وأوصيتهم ان لا يُعلموا احداً . لانه هناك ما يقدر احد ان يقدّس خارجاً عن كنيسة معلومة خوفاً من ظلم الترك .

وفي اليوم السادس رحنا الى [٣٤] كنيسة الارمن وزرناها فاخذنا مطران الارمن واحضروا امامنا مائدة شريفة واكرموا المونسنيور اكراماً زائداً . ثم رجعنا الى البيت ورافقتنا جماعة منهم .

وفي اليوم السابع رحتُ انا ومسيو وينا الحكيم (الطبيب) واخذنا هدية الى الكمركجي فقبلها واكرمنا وسقانا قهوة . وبعده رحت انا ومسيو كازمو واخذنا معنا ثلاثة كتب ارمنية مطبوعة وبعض اشياء من بركة رومية وقصدنا دار الخواجا بدروس حتى نزوره . وكان بيته داخل البلد . ولما وصلنا قدمنا له الهدية وسلّمنا عليه نيابةً عن المونسنيور . فاعزّنا واكرمنا واحضر امامنا [٣٥] مائدة شريفة . وبعدما تحدّثنا عنده مقدار ساعة رجعنا الى بيتنا .

وبعد يومين جاء الينا الله وردي المذكور وقال ان الكمركجي ما يقبل الهدية وحدها بل يريد له شيئاً آخر . فقال له المونسنيور اذا ما عندي شي

---

١) الجنجكارية او الجنكشارية او الينشرية ، اعني العسكر الجديد ، قوم من المماليك اتخذهم السلطان مراد الاول (١٣٦٠-١٣٨٩)

٢) فرضاء ٣) مشوا ٤) يتناولون القربان الاقدس ٥) تناولوا

يستحقّ الكمرك لاعطيه . فقال ان هولاء قوم ظالمون ما يخافون الله ولا يعرفون الحقّ . ثم قال لي المونسنيور رُحْ اعطيه بما اراد . فرأيتُ ان اروح اتكلم مع الكمركجي فنعني الله وردي وقال انا اروح اتكلم معه وما يعتاز ان تجي انت . فراح كلّمه وجاء وقال لي انه اراد سبعين قرشاً [٣٦] لكن انا ارضيته بثلاثين . فرحتُ وحكيتُ المونسنيور فقال اعطه كل ما يريد واستكرِ لنا دوابّ لنطلع من ارز الروم . اما هذا الله وردي فكانوا حقيقةً قد وصّوه بالمونسنيور بواسطة مكتوب والمونسنيور بعث له هدية من كتب وغير اشياء . ولكن بما انه كان رجلاً هرطوقياً ما صار لنا منه مساعدة . وقالوا لنا انه هو صار سبب هذه الثلاثين قرشاً . امّا انا فرحتُ وفتشت عن دوابّ حتى استكريها فلم اجد مكارية مناسبين غير المكارية الذين جابونا من آمد . فاستدعيتهم عند المونسنيور وفصلنا معهم الى ايروان القنطار [٣٧] باربعة قروش ونصف .

وكان كروان حاضر في ارزالروم رائح الى ايروان ولكنه لم يكن قد قضى شغله . والمونسنيور كان يريد يطلع من ارزالروم بالعجل لخوفه من شرّ الحكام الظالمين . واشار علينا بعض اصدقاء ارمن قائلين انه يوجد دير خارج عن ارزالروم يومين يسمّى دير السيدة[1] وفيه اسقف ورهبان ارمن ورأوا ان نروح نقعد هناك نستنى الكروان . لان الكروان عندما يخرج من ارز الروم يعبر قدّام الدير . ثم رحتُ عند الكمركجي وطلبتُ منه دستور الرواح فبعث معي اناساً جاؤا وطلعوا على احمالنا [٣٨] لما ربطناها . لانهم هكذا يعملون حتى اذا خرج الكروان من ارزالروم ورحل ثلاث مراحل يأتي ناس الكمرك ويطلعون على الختوم . فالذي يكون حمله مختوماً يأخذون منه نصف قرش والذي ما هو مختوم او ينتزع ختمه يفتّشونه فاذا وجدوا فيه فضة يأخذون الكمرك .

---

١) دير السيدة ابتناه مار نرسيس الجاثليق الكبير وكان يُدعى دير الاحمر . والآن يُسمى دير السيدة وهو في حوزة الارمن الغريغوريين .

٥ سفر المونسنيور بيكيت من ارضروم الى دير السيدة

ونحن بعد ما مكثنا في ارزالروم خمسة عشر يوماً اعطيتُ كوة البيت قرشاً وطلعنا (في ٩ تموز) . وارسل مطران الارمن معنا قسيساً الى الدير المذكور . وبعد يومين وصلنا الى الدير ونصبنا الخيمة خارجاً [٣٩] ونزّلنا احمالنا فيها . وخرج الينا اسقف الدير ورحب بالمونسنيور (واخذه الى الدير) وفرش له حجرة. وبقي المونسنيور ينام هناك في الليل وكان ينام عنده واحد يخدمه. اما نحن فكنا ننام جميعنا خارج الدير عند الاحمال تحت الخيمة. ولخوفنا من الحرامية كنا ننام بالنوبة . وانا كنتُ انظر اكثر منهم . ولكن الله نجّانا وما نالنا مكروه ابداً . والمونسنيور ومسيو كازمو والبادريّة كانوا كل يوم يقدّسون في الكنيسة . وكان المونسنيور بعد خلوص القدّاس يسمع باقي القداديس ثم يطلع يفطر ويدور يتنزّه مقدار ساعة ثم يجوز الى حجرته ويبدأ يصلي الى [٤٠] نصف النهار . ثم يتغدّى ويدور ايضاً وبعد ذلك يستريح قليلاً ويرجع يصلي الى وقت العشاء ثم ينام . ووقتما كان يتعشّى كنت اقف عنده حتى يتحدّث معي . وبعد ذلك كنت ارجع الى الخيمة وتعشّى هناك .

اما مطران الدير فكان هرطوقياً غشيماً[1] ويوم نزولنا في الدير جاب لنا خروفاً هديّة . وكان من قبلُ في هذا الدير مطران يُسمّى ورتان وهو مطران بلاد بولونية على طائفة الارمن وأصله من طوقات بجانب سبسطية . وكان قد قرأ في مدرسة بروبغندا فيده في رومية وارتسم هناك من مطارين ارمن قاتوليقيين . فلمّا نزلنا هناك [٤١] سألنا عنه فقالوا انه راح الى بعض قرى الارمن ليجمع حقوق الدير . ثم ارسل المطران اناساً خلفه حتى يعلموه بحضور المونسنيور . وبعد ثلاثة او اربعة ايام حضر المطران ورتان مع فرسين وخادمين وتلاقى مع المونسنيور وقبّل يده وفرح به الفرح العظيم وجاب لنا الى الخيمة خروفاً وجبناً اخضر وغير اشياء هدية الى المونسنيور . ويوم الاحد قدّس قدّاساً

---

١) بسيطاً

كبيراً وذبح عجلاً واضافنا . وكان في خاطره ان يبني في حوش الدير بعض قلالي ويعلّم في الاسكول[1] اللسان الارمني واللاتيني.

واما المكاريّة فلما بقوا معنا [٤٢] في الدير سبعة ايام يستنزن الكروان ولم يجيء بل جاء بعض ناس راحين الى القرص ولم نكن نعرفهم حتى نرافقهم لانهم ما كانوا من التجار . وكنّا ايضاً نخاف نروح الى القرص لان حاكمها كان ظالماً . فجاء المكارية وقالوا لي الى متى تنتظر الكروان قاعدين ههنا . ها قد جاء اناس قوموا حتى نروح على درب القرص فقال لهم المونسنيور انا ما قاولتكم حتى نروح على درب القرص بل على درب قلعة بيازيد . فما قبلوا بل ارادوا ان يرجعوا الى ارزالروم ويأخذوني الى القاضي ويدّعوا معي . فلما نظر المونسنيور شقاوتهم وشرّهم صاحهم وزادهم على القنطار قرشاً . فرضوا وقالوا قم حتى نحتمل ونروح الى ايروان والا نروح الى الشرع[2] وندّعي معك . فقلت لهم ألم تقرّوا انكم تنتظرون الكروان ولو كان شهراً ؟ فجحدوا ذلك وقالوا نحن قاولنا الى ثلاثة ايام وها قد كملت . فلما نظر المونسنيور عنادهم زادهم ايضاً على القنطار قرشاً آخر [٤٤] فقبلوا.

٦ سفر المونسنيور يكيت من دير السيدة الى دير سورب كرابيد

وفي اليوم الحادي عشر (٢٠ تموز) جاء ناس الى الدير وبشرونا ان الكروان قد عدّى تحت قلعة حسن التي هي خلف الدير . وبينها وبين الدير جبل . فقمنا حمّلنا قاصدين الكروان . وجاء معنا مطران الدير والمطران ورتان . ورافقنا مطران الدير مقدار ميلين او ثلاثة ثم رجعه المونسنيور الى ديره. اما المطران ورتان فبقي معنا . وبعد خمس ساعات وصلنا الى الكروان . وجاء ناس الكمرك وتطلّعوا على ختوم الاحمال . وثاني يوم رحل الكروان . وبينما كنّا ماشين تغلّبت علينا الذبّان الكبيرة التي تقرص الدواب . وكان المونسنيور راكباً فرساً عالياً [٤٥] فمن كثرة الذبّان التي قرصت فرسه بقي الفرس ينطّ

١) المدرسة ٢) المحكمة

ويرقص ويخبط بيديه حتى رمى المونسنيور عن ظهره الى الارض . فركضنا كلنا وأقناه ولم يُصبه ضرر . ثم أعرني المونسنيور ان الاقي له فرساً حتى يشتريه . فقلت له يا سيدي اركب فرسي حتى نصل الى ضيعة افتش فيها عن فرس . ثم جاء المطران ورتان وقدّم فرسه للمونسنيور وركبه اياه وركب هو فرس المونسنيور . وجاء معنا درب ثلاثة ايام . ثم قال له المونسنيور يكفي ارجع الى ديرك . فاعطى فرسه للمونسنيور هديةً والمونسنيور ايضاً اهدى اليه فرسه .

ثم اننا [٤٦] مشينا بعض ايام حتى وصلنا الى دير هو على جانب نهر الدجلة يُسمّى دير سورب كرابيد اعني مار يوحنا المعمدان . فتجاوز الكروان الدير وراح . اما المونسنيور فامرنا ان ننزل فنزلنا على جانب النهر ونصبنا الخيمة وركبنا خيلنا وعبرنا النهر حتى وصلنا الى الدير . فخرج المطران للقاء المونسنيور ومعه الرهبان واستقبلوه بفرح عظيم . وهذا المطران هو مطران تبريز واسمه سهاك[1] مرتبيد وهو قاتوليقي صالح محبوب من طائفة الارمن لسبب قداسته . ثم دخلنا الى الكنيسة . وهي عالية كبيرة جدًّا [٤٧] لكنه من مدة ثلاثمائة سنة كانت قد انهدمت قبتها وخلا الدير من السكان . فاجتهد هذا المطران الصالح في عمارته بمساعدة امير تلك الكورة واسمه امير محمد وهو رجل عادل كان يحبّ المطران ويكرمه وهو الذي امره ببناء الدير وساعده بدراهم . وكان الافعول[2] يشتغلون وقد نصبوا حوالي الدير دكاكين وعملوا شهرًا[3] اعني فيهدا[4] يبيعون هناك من جميع البضائع لاناس تلك الكورة .

اما المطران فاحضر مائدة امام المونسنيور واكرمه اكراماً زائدًا . ثم اخذنا ودوّرنا حوالي الدير فنظرناه ببناء عظيم [٤٨] قديم . وذكر لنا المطران بانه ههنا عند مار غريغوريوس المنوّر اثني عشر نفس بيده في هذا النهر . وبعدما حكينا

---

١) اسحق ٢) العَمَلة

٣) الشهر (ܝܪܚܐ) لفظ سرياني يراد به الاحتفال بالمواسم السنوية ليلة. فكان المؤمنون يقصدون مقام صاحب العيد ليلة عيده ويبيتون فيه ليلتهم ساهرين في الصلاة.

٤) سوقًا عمومية

عنده مقدار ساعتين توسّل في المونسنيور ان يمكث عنده كم يوم وهو يبعث معنا اناساً حتى يوصلونا الى ايروان فلم يُرد المونسنيور ان ينفرق من الكروان بل ودّع المطران ورحنا الى مكان خيمتنا وحملنا ووصلنا الى الكروان وقت المساء.

٧ وصول المونسنيور يكبث الى طوبراق قلعة وقلعة بيازيد

وبعد يوم (٢١ تموز) وصلنا الى قلعة تسمى طوبراق تلا اعني قلعة التراب وهي في حكم الامير محمد المذكور. وهناك يأخذون عن كل حمل نصف قرش. وثاني يوم وصلنا الى قلعة بيازيد [٤٩] التي فيها الامير محمد. فحطّ الكروان تحت القلعة وجاء ناس الامير وعدّوا احمال الكروان. ثم جمع رئيس الكروان من كل حمل قرشين حتى يروح يعطي للامير. وكان الكروان ثمانين حملاً. وبينما اراد رئيس الكروان الرواح جاء ناس من عند الامير يقولون لرئيس الكروان ان ياخذ المطران الافرنجي والحكيم الى الامير لانه يطلبهما. ثم ارسل الرئيس صاحبي وبلغني هذا الكلام. فرجعتُ وحكيتُ مع المونسنيور فقام وركب متكلاً على الله ورحنا معه انا والحكيم والخادم ورئيس الكروان وبعض التجار.

[٥٠] ثم وصلنا الى القلعة ونزلنا في بيت رجل نصراني اسمه اوهاديس خياط ثياب الامير. فرحّب بنا وجاء هو وعياله وتباركوا من المونسنيور. واحضر قدّامنا مائدة ملآنة من كل الخيرات والنعم. وكان هناك قسيس ارمني فجاء وزار المونسنيور. والمونسنيور ما كان ياكل ولا يشرب الا الشيء القليل اينما حضر على عادته. ومن هناك اخذونا وصعدنا الى راس الجبل حيث سراي الامير فادخلونا اولاً الى حجرة عمّ الامير واسمه ابرهيم بك وهو رجل معقول صاحب معرفة [٥١] فاستقبل المونسنيور بالمحبة وابتدأ يكلمه بادب وسقانا قهوة. وبعد ذلك جاء الامير من دار الحرم الى الديوان وامر باحضار المونسنيور والتجار. فادخلونا اليه فنظرناه قاعداً في صدر المجلس فوق الصفّة[1] مثل ملك

١) الصفّة بيت صيفي يكون مسقوفاً بجريد النخل ونحوه. ويراد بها ايضاً مقعدٌ عال في جهة الاستقبال.

الملوك . وجميع ارباب دولته واقفين حوله على ارجلهم مكتفين . ثم سلّم عليه المونسنيور فردّ سلامه بالحشمة واستدعاه اليه حتى اقترب منه وأمره بالجلوس . واجلس الحكيم ايضاً والتجار كل واحد في مكانه . وانا كنتُ واقفاً على رجلي بجانب المونسنيور . فامرني الامير بالجلوس فجلست.

[٥٢] وابتدأ الامير يتكلم مع المونسنيور ويسأله عن البلاد وعن الملوك المسيحيين وعن كل شيء . وكان يجاوبه بالحكمة وانا كنتُ اترجم بينهما . ثم التفت الى عمه ابرهيم بك وقال له باللسان الكردي ما احسن هذا الرجل ! وما احلى كلامه ! اظنّ انه من نسل الملوك . فيا حيف انه نصرانيّ . وانا كنت افهم اللسان الكردي مثلما افهم اللسان العربي . ولكني ما اظهرتُ ذاتي اني اعرف . وبعد ما حكى مع المونسنيور زماناً طويلاً وكان جميعهم ساكتين التفت الى رئيس الكروان وقال له قدّم واعطِ حقّ الاحمال . اما رئيس الكروان فكان قد [٥٣] اخذ معه هدية الى الامير تساوي عشرين قرشاً فقدّمها له مع مائة قرش . فقال له ان عندك ثمانين حملاً تحمل مائة وستين قرشاً . فهذه مائة اعطِ ستين قرشاً اخرى . فاعطى الرئيس عشرين قرشاً فقال له الامير يبقى عندك اربعون قرشاً . اعطِ العشرين وانا ابخشك العشرين قرشاً . فتقدّمتُ انا من الامير وبستُ يده وقلت له هذه العشرون بخشها لي انا . فقال وهكذا يكون . ثم قال لي وكم حملاً عند سيدك ؟ قلت عشرة . فقال لا تعطِ شيئاً للرئيس . ثم اوصى الرئيس ان لا يأخذ مني شيئاً [٥٤] . غير ان الرئيس كان قد اخذ مني قبل يوم حقّ الاحمال . فبعد ما رضي طلبنا منه دستوراً حتى نروح . فقال لنا اصبروا تعشّوا . فصبرنا وجابوا المائدة ووضعوها . فنزل من الصفّة وجلس في راس المائدة واجلس المونسنيور عن يمينه وعمه عن يساره واجلس باقي التجار كل واحد في رتبته .

ولما كان يتعشى كانت تُضرب له النوبة بالطبول والزمور والنفير كعادة الملوك . فبعد ما تعشّينا وشربنا القهوة قام عمه ابرهيم بك واخذ المونسنيور والحكيم وانا ونزلنا الى حجرته وبقي يتكلّم مع المونسنيور ويسأل ايضاً الحكيم [٥٥] عن مرض كان به . ثم بعث الامير خادماً الى عمّه يقول له

باللسان الكردي ان لا يترك المونسنيور والحكيم يذهبان بل يبقيان عنده كم يوم لبينما الحكيم يطبب ابنه المريض . فقلت للمونسنيور عما يتكلمون فقال لي قل لابرهيم بك حتى نقوم نروح بدستوره[1] فقال لي ابرهيم ان الامير اوصى ان تبقوا عنده كم يوم . لكي يعالج الحكيم ابنه لانه مريض . فاعتذر الحكيم وقال ما عندي الآن حوائج الادوية لانها في ايروان . ثم اني توسلتُ الى ابرهيم بك [٥٦] ان يطلقنا . فقام واخذنا وصعدنا عند الامير . وكان الوقت الساعة الاولى من الليل . فدخلنا اليه وكان عنده اثنان اعني كاتبه وخازنه . فاجلس المونسنيور جنبه[2] وابتدأ يحكي معه مدة نصف ساعة . وسألني قائلًا : انت ما انت فرنجي ؟ قلت لا بل انا من بلاد الترك . قال وكيف استخدمت عند هذا المطران ؟ قلتُ اني كنت اعرفه . ولاجل فضائله خدمتُ عنده . قال ارمني انت ام سرياني ؟ قلت انا سرياني . قال تعرف تقرأ السرياني وتكتب ؟ قلت نعم . فاحضر لي دواة وقلماً وقال اكتب لي الف با . باللسان السرياني [٥٧] فكتبتُ . ثم قال لي هل تعرف الكلداني ؟ قلت نعم . فكتبتُ له بالكلداني . قال تعرف العربي ؟ قلتُ نعم . فكتبت له بالعربي والتركي والفارسي . قال اتعرف الارمني ؟ قلت لا . قال ما لنا حاجة الى الارمني لانه عندنا ارمن كثيرون . ولكن اقعد عندي وعلّمني السرياني والعربي فاعطيك كل شهر عشرة غروش وكسوتك . واعطيك خادماً وفرساً . وتكون عندي كواحد من خواصي معزوزًا مكرّماً . ولا تخف لاني انا احبّ النصارى كثيرًا . فقلت له يا سيدي كيف اقدر اترك سيدي في هذه البلاد الغريبة وحده . وانا لسانه وما عنده احد غيري . لكني اذا وصلته الى مكان يكون فيه [٥٨] احد يعرف اللسان فحينئذٍ أتركه واجيء اليك . وطالت المصاحبة بينه وبين المونسنيور .

---

١) برخصته . ٢) قريباً منه

(لها تابع)